الأهمية العسكرية لأنهار العراق في عهد الدولة العباسية

(دراسة حالة للأعوام ١٣٢-٣٣٤ هـ. ق)

نعمت الله زكي بور (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، قسم التاريخ، جامعة ياسوج، إيران
nematzakipoor@yahoo.com
مجيد الشموسي مطلق
خريج الماجستير، قسم التاريخ، جامعة ياسوج، إيران
majid.sh4676@gmail.com

The military importance of Iraq rivers in the era Abbasid caliphate (case study of 750-940 A.D)

Nematollah Zakipour(corresponding author)
Assistant Professor , Department history , Yasouj University , Iran
Majid Shamousi Mutlaq
Master graduated , Department history , Yasouj University , Iran

الملخص:-

من الأسباب المهمة التي دفعت العباسيين إلى اختيار بغداد مركزاً لحكمهم، بُعد هذه المدينة عن مراكز معارضي الحكومة، والقرب من مؤيديها، والموقع المناخي والقرب من النهرين الكبيرين دجلة والفرات، والهيمنة على التجارة العالمية. كما كان لهم أيضاً استخدامات مختلفة للأنهار. لكن إحدى الاستراتيجيات المهمة للعباسيين للأنهار هي الإستخدام العسكري والاستراتيجي لقمع المتمردين الداخليين والخارجيين. والسؤال الرئيسي للبحث هو ما هي استراتيجيات العباسيين في حروب الأنهار لأنهار العراق؟ وما مدى نجاح أدائهم في الحروب النهرية؟ وتشير نتائج البحث إلى أن اختيار العراق عاصمة للخلافة العباسية يعود إلى قربه من النهرين العظيمين دجلة والفرات، اللذين بالإضافة إلى سيطرتهما على طرق التجارة، البعد عن مراكز المناوئين لحكمهم، حيث استطاعوا استخدامها لقمع المتمردين المحليين والأجانب، كما أنهم ابدعوا في خلق أساليب وتقنيات عسكرية جديدة في الحروب النهرية والبحرية وتكللت بالنجاح في هذه الحروب. تناول هذا المقال الاستراتيجيات العسكرية للعباسيين في الحروب النهرية عن طريق المنهج التاريخي التحليلي وذلك بالاعتماد على الوثائق والمصادر التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الاستراتيجيات العسكرية، العصر العباسي الأول، الأنهار العراقية.

Abstract:-

Distance from the centers of government opponents, proximity to government supporters, climatic location and proximity to the two big rivers, Tigris and Euphrates, and dominance over world trade were among the important reasons why Abbasids chose Baghdad as the center of government. The Abbasids had different uses of rivers, but one of the important strategies of the Abbasids was the military and strategic use of rivers to suppress domestic and foreign rebels. The main research question is, what were the strategies of the Abbasids in the river wars of the Iraq rivers? And how successful was their performance in the river wars? The findings of the research show that the choice of Iraq as the capital of the Abbasid caliphate was due to its proximity to the two great rivers, the Tigris and the Euphrates, which in addition to dominating trade routes and being far from the centers of opposition to their government, were able to suppress internal rebels. and foreign countries and invented new military methods and techniques in river and sea wars and were successful in these wars. This article has analyzed the military strategies of the Abbasids in the river wars with a historical-analytical method and relying on historical documents and sources.

Key words: military strategies, first Abbasid era, Iraq rivers.

المقدمة:ـ

تعتبر الأنهار من العوائق الطبيعية، ولها أهمية عسكرية كبيرة يمكن استخدامها ضد قوات العدو. كما استخدمت الأنهار لتوفير الأمن حول المدن لصعوبة عبورها ولإعطاء فرصة للقوات المدافعة لاتخاذ إجراءات دفاعية وتأخير تقدم القوات المهاجمة وقطع طريقها. وكان هذا أحد أسباب اختيار الحجاج بن يوسف الثقفي لمدينة واسط لأن نهر دجلة يقع في شرق المدينة ونهر الفرات في غربها مما أعطى الحجاج فرصة الوقوف ضد القوات الغازية وقمع المتشاغبين (اليعقوبي، ٢٠٠٢: ٣٨). باختياره مدينة بغداد، كان المنصور الحاكم العباسي مدركاً لأهمية المدينة الاقتصادية والعسكرية نظراً لتجارب الحروب التي شارك فيها، كما أوردت المصادر تقارير عن عمله في الملاحة البحرية قبل الخلافة (ابن خلكان، ٢/١٩٧٣:٤١١). وفي وقت من الأوقات حاصرت قوات المأمون بغداد بقيادة طاهر بن الحسين عام ١٩٧ هـ / ٨١٢ م وأمر الأخير بقطع المساعدات عن مدينة بغداد والسيطرة على مداخل الأنهار وغيرها من الأماكن ومنعت السفن القادمة من البصرة (الطبري ٨/١٩٦٧:٤١٦). لقد رزحت الناس حينها تحت حصار شديد، (المصدر نفسه٤٥٩). هذا العمل لم يكن مجدياً أيضاً لأنه كان حصاراً شديداً وطويل الأمد، وكانت الأنهار تستخدم كآلة ضغط في القرارات السياسية علي الخلافة. في أحداث المستعين والمعتز والتي نشبت علي الوصول إلى سدة الخلافة في عام ٢٥١هـ/٨٨٥م، حاصرت قوات المعتز مدينة بغداد وأغلقوا مداخل الأنهار أمام المدينة، مما أثار استياء الأهالي بسبب نقص المواد الغذائية وارتفاع أسعارها ونتيجة لذلك تنحّي المستعين من الخلافة.)اليعقوبي ٢/٢٠٠٢:٣٥١). قوات الخلافة وعبرالسيطرة على الممرات المائية وحمايتها حتى وصول قوات زنجيان الموفق، أمر الحاكم العباسي ابنه أبو العباس (المعتضد) بقطع الطريق علي المتمردين الزنجيين عن طريق الأنهار وإعمال المراقبة والتفتيش الدقيق وقد فعل ذلك)الطبري ١٩٦٧: ٥٨٧ ٩/٥٩١). عندما كانت الخلافة العباسية تسير نحو الضعف والهوان وتقاتلت القوى السياسية من أجل السلطة، احتدم الصراع على فتحات الأنهارحيث أنها تشكل آلة ضغط مهمة جداً في مجابهة العدو. ولما تولى آل بريد السلطة وسيطر علي مدينة البصرة، قطع الطريق أمام الخليفة العباسي المتقي بالله وأهالي بغداد في الأعوام(٣٣٣-٣٢٩/٩٤٤-٩٤٠م) لعدم وصول

مايحتاجونه ومنع وصول السفن إلى بغداد (المسعودي١٩٦٦: ٤/٢٤٧). ويبدو أن الأنهار كانت وسيلة شائعة لمعظم القوى السياسية للقتال مع بعضها البعض بحيث كانت القوى السياسية تتنافس فيما بينها لتحقيق النصر والسيطرة على الأنهار ولي ذراع الآخر والخروج بتحقيق النصر، وباستخدامها يمكنهم الضغط اقتصادياً وعسكرياً على العدو ليحصلوا على أفضل النتائج وبأقل الخسائر.

وفي سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، تمكن طوزون من الانتصار على معزل دولة أحد خلفاء البويهيين والسيطرة على الممرات المائية والأنهار وسد الطريق أمام السفن واعلنوا عن هذه الحادثة وذكروا أن طوزون استولي على سفن ومراكب معزالدولة (الهمذاني،١٣٩:١٩٦١)

لماذا اهتم العباسيون بالأنهار؟

لقد أراد الخلفاء العباسيون التركيز علي الخلافة في العراق، وكانت أنهارها مناسبة لتمركز السلطة. لذلك، ولبعض الأسباب قاموا بإنشاء ثكنات لقواتهم في الأنهار، وهذه الأسباب هي:

١. كانت ضرورة وجود خطوط اتصال مع القوات هي أحد أسباب اختيار الأنهار مقراً للقوات وتأسيس الثكنات المجاورة لهم، لأن الطرق النهرية كانت تستخدم لإيصال الإغاثة والمعونة للقوات دون أي عوائق بين مراكز القيادة والقوات الأخرى (الطبري ١٩٦٧: ٦١٦/٩). عندما سيطر المتمردين من الزنك على مدينة البصرة والأنهار المحيطة بها، تمكن الحاكم العباسي ومن خلال إنشاء حامية الموفقية الشهيرة والسيطرة على شبكة الأنهار، من الحصول على المساعدة عبر الشام والحفاظ على اتصاله بمركز القيادة وتقديم المساعدة للقوات عبر واسط والمناطق المحيطة بها(المصدر نفسه، ٥٩٣).

٢. بالإضافة إلى أن الأنهار كانت تعتبر بمثابة ثكنات للنقل وطرق لتوصيل الإمدادات والاحتياجات الأخرى للقوات، كانت نفسها أيضًا تعد مصدرًا لإمداد احتياجات القوات ومصدراً لتوفير مياه الشرب لهم (المصدر نفسه: ٦٠٤).

في بداية الأمر كانوا يقوموا بإنشاء أماكن لاستقطاب القوات والأماكن والسفن

والحيوانات التي ترافق القوات لإنشاء ثكنة عسكري. وعندما سار الموفق نحو نهر جطي،قام بتعبيد الطريق للقوات وبنى الجسور فوق النهر ومن هناك ذهب إلى حامية أخرى قرب البصرة وأمر بإغلاق النهر حتى يتمكن من تطوير نهر الفرات والذي يتدفق جزء منه نحو البصرة، لأن الثكنات يجب أن تتوسع هناك بشكل كبير لتتسع لجميع القوى البرية والنهرية. وعندما أراد إنشاء حامية هناك، كانت أحد أهدافه أن تستقر قواته إلى جانب نهر أبي الخصيب أمام القوات الزنكية المتمردة (المصدر نفسه،٥٨٤). وفي عام ٢٦٩ ق/ ٨٨٢م تقدم الموفق العباسي مع قوات عسكرية كثيرة مكونة من الفرسان والمشاة والسفن الحربية وقبل ذلك أمر بتطهير القاعدة العسكرية من القصب لتتسع أكثر فأكثر وبناء قصر فيها وميدان لاستعراض القوات العسكرية والفرسان. (المصدر نفسه، ٦٤٨) وفي أحداث عام ٢٥٦هـ/٨٦٩م،كان قائد القوات العباسية والمسماة جعلان وفي إحدى هجماته على قوات الزنج المتمردين، كانت المسافة قليلة جداً لدرجة أنه كان أقل من فرسخ واحد يفصلهما عن بعضهما البعض ومن ثم أمر بحفر قناة (الطبري،١٩٦٧: ٩/٤٧٠). ومن فوائد إنشاء الثكنات العسكرية هي أنها تستخدم كمراكز لتدريب القوات العسكرية و إجراء التدريبات والاستعراضات وتجهيزها بالأدوات الحربية قبل البدء بالحرب والقتال ولهذا السبب تفقد الموفق في بستان الهادي قواته بقيادة ابنه أبو العباس (المعتضد) لرفع مشاكلهم وسد ثغراتهم.

استراتيجيات الإمداد والإسناد:

وفي حروب النهر كانت القوات العسكرية بحاجة إلى المساعدات والتموين من الغذاء والسلاح كمبدأ أساسي للقيام بالعمليات العسكرية ضد قوات العدو، وفي هذا الصدد أولى الخلفاء العباسيون اهتماماً خاصاً بهذه الاحتياجات، ولهذا السبب، وإلى جانب القوات، كان البعض منهم تقع علي عاتقه تأمين المواد الغذائية. وفي سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م وقعت اشتباكات بين أصحاب المستعين والمعتز، حيث كل من الفريقين استخدم السفن لنقل القوات والسلاح والطعام (الطبري، ١٩٦٧: ٩/٣٢٢).

وفي الحرب مع الزنكيين شددت القوات العباسية على توفير الطعام قبل الحرب وبعدها، فكان كلما أراد الحاكم العباسي الموفق الذهاب إلى إحدى الحاميات، يرسل المواد الغذائية التي تحتاجها القوات قبل انطلاقته إلى هناك (المصدر نفسه، ٥٧٧).وفي عام

٢٦٨هـ/٨٨١م، تمكنت القوات العباسية من هزيمة مجموعة من القوات الزنكية وقتل بعض منهم وأسر الآخر، وهؤلاء الأسرى هم في الواقع كانوا تجاراً يقومون بتأمين المواد الغذائية للزنكيين (المصدر نفسه، ٦٠٧).

ولم تقتصر الإغاثة على توفير المواد الغذائية فحسب، بل شملت أيضًا توفير المعدات والقوات الجديدة اللازمة للنصر في الحروب. وفي سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م قرر الموفق شن هجوم على إحدى المدن الواقعة تحت سيطرة الزنكيين، فاحتاج إلى استخدام العديد من الزوارق الحربية والمعدات التي يمكن استخدامها في حرب الأنهار والمياه، ولهذا السبب أمر ببناء العديد من الزوارق الحربية في منطقتي سيراف والجنابه. (المصدر نفسه،٥٨٥) وفي سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م، صعدت مجموعة من قوات الخلافة العباسية بقيادة ناصر الديلمي على السفن الحربية ودخلت نهر دجلة حتى وصلت إلى نهاية حامية قوات يعقوب الليث الصفاري، حيث تمكنوا من الاستيلاء على نهاية الحامية وفيها تقع المواد الغذائية والأسلحة والمعدات وأضرموا النيران فيها مما أدي إلى حالة من الهلع بين قوات يعقوب والحاق الهزيمة بهم (١٩٦٦: ٤/١١٣)، وحاولت قوات الموفق أيضًا توجيه ضربات مهلكة على القوات الزنكية، وتوغلت حوالي خمس سفن عسكرية من نوع فرقاطة في نهاية حامية القوات الزنكية في نهر أبو الخصيب وأضرمت النار في مخازن المواد الغذائية التي تستخدمها القوات، ويعتبر حرق هذه المستودعات بمثابة ضربة قاسية للقوات الزنكية. (طبري،١٩٦٧: ٩/٦٣١).

وفي سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م تمكنت القوات العباسية بقيادة الحاكم الموفق من دخول نهر أبي الخصيب، وأمر الموفق بإشعال النار في بيوت ومقرات الزنكيين على جانبي النهر، كما أشعلوا النيران في السفن داخل النهر (المصدر نفسه، ٦٣٨) كما فعلت من قبل القوات الزنكية نفس الأفعال مع القوات العباسية في بداية تسنمها السلطة، وعندما انتصرت على القوات العباسية أمرت بإحراق سفنهم السفن وإضرام النار فيها.(المصدر نفسه، ص٤٢٠).

استراتيجيات الإعداد والإدارة للحروب النهرية:

وكانت الاستعدادات للحروب النهرية تتم بدقة متناهية وبأوامر من القادة، وهم يحاولون إظهارها على أفضل وجه ممكن في استعراض القوات والمعدات الحربية، حتى تحققت النتيجة المرجوة في الحرب، وما كان وارد في المصادر التاريخية، هو تأكيد الخلفاء

العباسيين على استعراض قواتهم ومعداتهم واستعداداتهم، وبعد ذلك يرسلون القوات إلى ساحة المعركة، ولهذا السبب نجح الحاكم العباسي من استعراض القوات في حامية بستان الهادي تحت قيادة إبنه أبو العباس المعتضد سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م ثم أرسلهم للقتال مع ثوار الزنك مع كامل المعدات العسكرية والبوارج الحربية القوية والمراكب الحربية. (ابن كثير،١٩٨٨: ١١/٤٠). ومن هنا يتضح أن عرض القوات يجعل القادة علي علم بعيوب القوات والمعدات وسرعان ما يقومون برفعها. وفي أحداث ٢٦٧هـ/٨٨٠م يذكر الطبري أن الموفق قضى ٥ أيام في تفقد السفن والفرقاطات والمراكب الحربية وتصنيف القادة والرماة. (الطبري١٩٦٧: ٩/٥٨١)

قبل بدء أي حرب وبعد انتهائها، يطمئنون علي سلامة المعدات والأدوات الحربية وصيانة السفن حتى لايحدث أي خطأ يذكر، وكانت القوات مستعدة دائمًا لمواجهة العدو، ويقوموا القادة بتدريب القوات على تعلم تقنيات الحرب وطريقة التسلل في الأنهار والقتال في الماء كانت تتم قبل بدء كل حرب.(المصدر نفسه، ٥٦١) وكان يتم اختيار القادة والقوات على أساس مبادئ منها أن يكونوا من ضمن الأفراد ذات الصبر والمقاومة (المصدر نفسه،٥٦١). ويتم وضع المقاتلين على ظهر السفن بأدوات حربية وبجهوزية تامة للتحرك نحو العدو (المصدر نفسه، ٥٨٤). يعتمد إعداد القوات للحروب النهرية على الظروف التي تمر بها الأنهار التي حدثت فيها الأحداث والحروب، فعندما حدث الصراع في الأنهار والطرق الضيقة، يعد القادة خرائط الهجوم، ووضع الجنود والسفن حسب موقع وطبيعة الأنهر. وعندما يقع الموفق في مثل هذه المواقف في الحرب، يحاول الاستعانة بذوي الخبرة الذين لهم خبرة في القتال في المراعي ومضيق الأنهار، واستخدم الزوارق الحربية الصغيرة وجميع أنواع الأسلحة الحربية (المصدر نفسه،٦٦٢).

وقبل خوض الصراع مع العدو، يحاولون وضع ظهورهم نحو أماكن آمنة مخافة من مباغتة العدو لهم. عندما قرر الموفق الاستيلاء على نهر أبي الخصيب وهو مركز القوات الزنكية، وضع ١٥٠ سفينة حربية حول ثكنة الزنك على الجانب الآخر والتي ترسو بالقرب من شاطئ النهر لتكون مساندة لقواتهم (المصدر نفسه، ٦٤٧). وإذا ما أرادت القوات الهجوم على ثكنات العدو،يتركون فرسخاً واحداً كمسافة بين قواتهم وقوات العدو وهذا

ما فعله أحد قادة الجيش العباسي وقد اشتهر بجعلان الترك (المصدر نفسه،٤٧٠). ولكن عندما تريد القوات الهجوم علي قلعة أو مدينة ما، يستقرون علي بعد مسافة كيلومترين تقريبًا من مكان العدو. في أحداث عام ٢٦٧ هـ ق / ٨٨٠م أقيمت قوات الموفق على بعد مسافة كيلومترين من مدينة سليمان (المصدر نفسه،٥٧١).وربما يكون سبب وضع هذه المسافة بين القوى المتخاصمة هو ابتعاد هذه القوى عن نيران بعضها البعض. في بعض الأحيان،لاسيما في الصراعات الحاسمة، ولإجبار القوات على المقاومة،يقومون بابعاد السفن عن مواقع الصراع كي لاتنسجل الجنود إلى الخلف وحينها يجبرون علي المقاومة أمام العدو. وطلب قادة قوات الموفق منه أن يبعد السفن الحربية من منطقة الصراع حتى لايلوذ الجنود علي متنها بالفرار. عند مواجهة قوات العدو في النهر كان الأمر كما لو أن بعض الأفراد يتسببون في اضطراب حركة السفن ويلفتون انتباه القوات الموجودة داخل السفن عن منطقة الحرب كما رواه الطبري التي نقلها أحد أصدقاء أمين المقربين أن أنصار طاهر ضايقونا حيث قام عدد منهم بمهاجمتنا عبر زوارق وفرقاطات وإثارة الاضطرابات وإطلاق النار واختراق السفن وإشعال النار فيها. (الطبري،١٩٦٧: ٨/٤٨٤). وأحيانا يتم مهاجمة السفن من قبل العدو براً، وقد ذكر ذلك في أحداث عام ٢٦٧هـ/٨٨٠م والتي وقعت بين القوات العباسية والمتمردين الزنكيين، حيث كان تموضع الزنكيين علي الأرض اليابسة والقوات العباسية داخل النهر وفي السفن (المصدر نفسه، ٥٦٥).وتحدث الصراعات نهاراً، وخاصة معظم الحروب التي تحدث نهاراً على الأرض لقد كان ذلك بحسب عدد القوات المشاركة وعناد الأطراف المشاركة في الحروب الطويلة كما اختلف وقت الحروب والصراعات، ففي بعض الأحيان استمرت الحروب من بداية الصباح إلى بداية فترة ما بعد الظهر وتستمر ثانية من جديد حتى غروب الشمس. وعند غروب الشمس كان من الصعب عليهم التمييز بين الصديق والعدو، فكانوا يعودون إلى مقرهم قبل غروب الشمس. (الطبري،١٩٦٧: ٨/٤٨٤) وربما لكثرت القوات من الجانبين حينها يتوقفون عن القتال عند غروب الشمس، حيث من السهل تسلل قوات الطرفين إلى الفيلق الآخر وكان من الصعب التمييز بينهم وخاصة المجموعات الصغيرة التي لم يمكن ملاحظتها ورصدها ويكون الإختراق سهلاً ودون أن يلاحظ أحد وجودهم.

الأهمية الإستراتيجية للكمائن والهجمات المفاجئة:

مصطلح الكمين هو أسلوب يوضع من خلاله عدد من القوات في طريق قوات العدو بطريقة سرية ومخفية بحيث تقوم عند الضرورة بمهاجمته وعرقلة طريقه للأمام وإلحاق أكبر قدر ممكن من الضرر به أو صرف انتباهه عن الهدف. (الجنابي،١٩٨٩:١٩٩) تعتبر الكمائن والهجمات المفاجئة في الحروب النهرية وسيلة لإنهاء الحرب وأحد عوامل النصر المهمة فيها، لأن الهجوم المفاجئ يفاجئ العدو بينما كان الزمان والمكان ونوع السلاح المستخدم غير معروف تماما لديه. (الملاح،١٩٨٨: ٤/٢٦١). الكمائن والهجمات المفاجئة هي في الواقع أنواع من الحيل التي يكون غرضها إخفاء النية والوقت والقوة المستخدمة في الهجوم من أجل إحباط نفسيات العدو، وكلاهما عملة واحدة. وفي أحداث ١٩٨هـ/٨١٣م، ذكر الطبري أن قوات المأمون بقيادة طاهر بن الحسين قامت بنصب كمائن لمهاجمة قوات الأمين، وعندما أراد أمين تسليم نفسه لقوات هرثمة بن أعين،قامت قوات طاهر بنصب كمين له. (الطبري ٨/١٩٦٧:٤٨٢). أثناء حرب العباسيين مع الزنكيين، أقامت القوات العباسية كمائن للقوات الزنكيين للإيقاع بهم. وفي أحداث ٢٥٥هـ/٨٦٨م، ذهب زها قائد القوات العباسية ومعه ألف شخص من القوات العباسية إلى محاصرة قائدين زنكيين يدعان علي بن أبان ويحيى بن محمد في كمين في أحد أنهار البصرة المسمى بنهر الشركاء. (الطبري،١٩٦٧: ٩/٤٢٧).وفي أحداث عام ٢٥٥ ق/٨٧١،وقعت مواجهة بين قوات الموفق وعدد كبير من القوات الزنكية حيث أجبروا علي الإنسحاب ولكن لجأ الكثير من القوات العباسية إلى المراعي ومضيق الأنهر لكنهم قتلوا بعد ما نصبوا لهم الزنكيين كمائن هناك (المصدر نفسه،٥٠٠).

ومن أنواع الكمائن التي استخدمت في حروب النهر لمحاصرة العدو،هو تقسيم القوات في مداخل الأنهر حيث من المقرر عبور قوات العدو من هناك.إضافة إلى أوامره لابنه أبو العباس بتقسيم القوات وتواجد قواته على مساحات واسعة من الأنهار التي كانت تمر بها سفن الزنكية من هناك ليتمكنوا من محاصرتهم عند دخولهم تلك المناطق وأمر زوارقه الحربية بمهاجمتهم أيضًا.(المصدر نفسه،٥٩٢).

استخدمت المنطقة المحيطة بالأنهار كميناً لوجود المراعي والقصب فيها، وذلك لأنهم لقد خلقوا موقعًا جيدًا للاختباء من أعين العدو، مما سهل محاصرته، ولهذا السبب اعتادت

القوات الزنكية نصب كمين للقوات العباسية في المروج والقصب التي كانت حول الأنهار، و المهام التي قام بها القائد الزنكي لمحاصرة العدو، وطرد القوات العباسية، فأمر قواته بالابتعاد قدر الإمكان عن أعين القوات العباسية والإختباء في المناطق المحيطة بالنهر لينتظرونهم حتى تدخل السفن العباسية النهر ويتجنبوا الخروج قبل سماع صوت قرع طبول قواته (المصدر نفسه ٥٢٥-٥٢٤). عادة تم استخدام الكمائن كثيراً في حروب الأنهار.الهجمات المضادة ومهاجمة قوات العدو في معاقلهم من أجل إحباط معنويات القوات الموجودة للعمليات والمعارك،لها تأثير كبير في هزيمة العدو. وفي النهاية ولتحقيق ذلك تقوم القوات بإعداد خطة معدة مسبقاً لمحاصرة قوات العدو والذي يعبر عنها في الوقت الراهن بهجوم غازانبري، والغرض منه هو أن تشتبك القوات الرئيسية للفيلق مع قوات العدو بعملية هجومية وفي نفس الوقت تهاجم القوات الأخرى خلف جبهة العدو بسرعة، إذ يحدث ارتباك في صفوف قوات العدو. في إحدى المواجهات النهرية التي وقعت بين القوات العباسية تحت قيادة نصير الذي كان مسؤولاً عن القوات البحرية والقوات الزنكية بقيادة سليمان بن جامع سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م في نهر أبي الخصيب وبينما كانت الجماعات المتحاربة تخوض حرباً مع بعضها البعض، قامت مجموعة من عبيد الموفق السودانيين بالخروج من كمينهم وهاجموا القوات الزنكية حيث أدي ذلك لهزيمة القوات الزنكية. (الطبري،١٩٦٧: ٩/٦٢٧).

وفي بعض الأحيان تستخدم الكمائن لجر قوات العدو لغرض محدد ومكان مناسب في حروب النهر حيث يتم استخدام خطة بذكاء كبير.في بعض الأحيان تكون القوات المعادية قليلة العدد وكانوا يرسلون سفنهم إلى الأنهار ليكون العدو جشعاً في قلة قوته للسيطرة عليهم، وهذه في الواقع خدعة لإخراج العدو من مخبئه ومن ثم مهاجمته. واستخدمت القوات العباسية هذه الأساليب في نصب الكمائن للقوات الزنكية (المصدر نفسه، ٥٦١). وتبين هذه الحادثة أن قوات العدو بطرق مختلفة يعرفون مكر بعضهم البعض، وفي هذا الصدد ذكر الطبري في تقرير ما: أن القوات العباسية استخدموا هذه القاعدة وانتظروا ليخدعوا العدو وأمروا بوضع إحدي السفن في طريق الزنكيين ليثيروا طمعهم في الإستيلاء عليها وتتبعها. وتحرك من في السفينة بأمر من أبي العباس ببطئ لكي يصل الزنكيين وحينها يجر البحارة القوات الزنكية نحو كمين أبوالعباس حيث يتواجد بقية القوات هناك.(الطبري ١٩٦٧: ٩/٥٦٦).

إستراتيجيات الحرب النفسية:

يمكن للحروب النفسية أن تكون أحد العوامل المساعدة على إحباط معنويات العدو وشل قواه في استمرار الحرب، وقد تعددت أساليب الحرب النفسية لدى القوات العباسية في التعامل مع الأعداء وحاولوا استخدام هذا الأسلوب لهزيمة أعدائهم من حيث المعنويات وإحباط نفسياتهم. ومن ضمن هذه الأساليب هي إظهار قوة القوات من خلال حشد عدد كبير من قواتها إلى جانب المعدات العسكرية المستخدمة في الحروب، مما كان له الأثر الكبير في تدمير معنويات الأعداء وتسبب أيضاً في تفكك القوى الداخلية، كما كان لها الأثر الكبير علي القوات في ثقتهم بالنفس وإمتلاك النفسيات القوية في مقارعة قوات العدو.كما أن القوات العباسية قامت بإعداد قوات ومعدات لانظير لها للحرب مع الزنكيين (الازدي،٢٠٠٦: ٢/١٠٢).

وفي عام ٢٦٩ق/٨٨٢م جهز العباسيون قوات كبيرة من الأشخاص والمعدات العسكرية لمهاجمة المدينة التي كانت مركزًا للزنكيين، وأعد الموفق سفنًا بعشرة آلاف جندي لمهاجمة المدينة. (ابن‌اثير، ١٩٥٦: ٤١٣ /٦). وقد استخدم هذه الأساليب أيضًا الزنكيون وحاولوا مهاجمة القوات العباسية بمجموعاتهم بحزم وشدة حتى يرسخوا الخوف والذعر في قلوب القوات العباسية.كما أن الزنكيين دخلوا الحرب بكافة قواهم ومعداتهم.(المصدر نفسه،٥٦١).

والأسلوب الآخر من الحروب النفسية التي استخدمتها القوات العباسية هي كما يلي

كانوا يتبعون عادة رفع رؤوس قتلى قوات العدو في السفن وشنق الأسرى، ثم تتحرك السفن لتتمكن قوات العدو من رؤيتهم، وبعد النصر يرفعون رؤوس قتلى الأعداء، وشنق الأسرى في السفن ويمرون من وسط المدن، حيث يقومون بزخ الرعب والترويع في قلوب مناصري الزنكيين وكان لهذا العمل أثر عميق جداً في إضعاف معنويات الأعداء(الازدي، ٢٠٠٦: ٢/١٠٤).

استخدم الزنكيون أيضاً أساليب التخويف لإجبار قواتهم على مقاومة الخلافة العباسية. حتى أن المتمردين في بداية تمردهم حملوا رؤوس قتلى العباسيين في السفن وعرضوها أمام الأهالي والقوات العباسية التي كان لها الأثر الكبير في الهزيمة والتراجع، حيث أنهم هزموا القوات العباسية واحتلوا معظم المدن دون مقاومة تذكر. وكان لهذه

التصرفات الأثر العميق في إضعاف معنويات الجنود وأهل البصرة الذين كانوا يستعدون للحرب ضد الزنكيين. واستخدم الزنكيون هذه الأساليب لتخويف الناس والجنود في الحرب لأن هذه الأساليب جعلتهم يظهرون أقوياء جداً في أعين أعدائهم. وكان الزنكيين يعرضون جثث الموتى في الدروب والمعابر النهرية التي كانت في أيدي القوات العباسية، وكانوا ينقلون جثث الموتى في القوارب لبث الرعب في نفوس القوات التي جاءت لمحاربتهم. (الطبري ١٩٦٧: ٩/٥٢٣). ومن ضمن الأساليب الأخرى التي استخدمها العباسيون ضد أعدائهم هو كان رفع أعلام الأعداء في السفن بشكل نصف مرفوع وذلك من أجل إحباط معنويات قوات العدو (المصدر نفسه،٦٣٢).كما كان هناك أسلوب آخر من أساليب الحرب النفسية وهو خطير جداً، حيث يتمثل بنشر الشائعات والدعاية التي كان له أثر كبير في إضعاف معنويات قوات العدو. فقد حاول العباسيون بث الشائعات والأخبار في قلوب قوات الزنكيين. وجاء في تقرير ما بأن الموفق وبعد أن علم بأن أحد الجنرالات الزنكيين والذي يدعى بهبوذ قد قتل حيث أخاف وأذعر العباسيين كثيراً بسبب هجماته السريعة والمباغتة،حينها فرح كثيراً وقام بتكريم الجنود الذين قاموا بهذه المهمة عبر إجراء مراسيم لهم (ابن اثير، ٣٩٥:١٩٥٦/٦).

وأراد العباسيون من خلال نشر خبر وفاة القائد الزنجي طمأنة الشعب نفسيا بأن هذه الأسطورة القوية التي انطبعت في أذهان الناس لم تكن أكثر من خرافة وانتهت على يد خلافتهم القوية. (ابن اثير،١٩٥٦: ٦/٤٢٣). وفيما يتعلق بإشاعة الزنكيين، هناك رواية مفادها أن زعيمهم نشر إشاعة إصابة الموفق في إحدى الحروب بين العباسيين وقال إن الموفق غير قادر على مواصلة الحرب وقد فقد قوته. (التنوخي،١٩٧١: ١/١٥٤). وهناك أيضاً طريقة أخرى لتحفيز وتشجيع القوات في الحروب وهي خلق ملحمة وتحفيز في معنويات القوات مما كان له الأثر الكبير في تحقيق النصر وهزيمة العدو. كما تحدثوا كثيرا عن شجاعة الموفق في الحرب مع الزنكيين (الطبري، ١٩٦٧: ٩/ ٥٠٠). وتُستخدم مثل هذه الأساليب كثيراً لتعزيز معنويات القوات وتغيير نتيجة الحرب لصالحهم.

وركز الجيش العباسي بشكل كبير على العقاب وعاقب الجنود الذين أهملوا في تنفيذ المهام العسكرية أو عصوا الأوامر الصادرة لهم. وأمر أبو العباس بقطع رؤوس ثلاثة من

البحارة الذين عصوا واجباتهم في الحرب وانهمكوا في جمع الغنائم حينها (المصدر نفسه، ٥٦٣). تم استخدام الأنهار كوسيلة لتشجيع القوات عقليًا وروحيًا. بحيث كان العباسيون يدفعون المكافآت من أجل رفع معنويات القوات وإثارة الولاء والإخلاص في تنفيذ المهام العسكرية، لتكون دافعاً إيجابياً للمقاتلين. وخاصة أن الجيش العباسي أعطى جميع الغنائم للجنود في بعض الحروب. وكما روي الطبري في تقرير ما قائلاً: ولقد أخرج الموفق جميع المراكب والسفن الكبيرة والصغيرة وغيرها من أنواع المراكب والسفن مع ما فيها مما أغتنموه من الزنكيين من نهر دجلة وأعطاها لعبيده وأصحابه.(المصدر نفسه، ٦٤١) كما كان يعطى لجنوده بعد انتهاء كل حرب وبحسب رتبتهم ودرجتهم ودرجة طاعتهم هدايا لبذل المزيد من الجهود في الحروب. (الطبري،١٩٦٧: ٩/٦٣٠) وأمر بإعطاء عوائل القتلى راتب التقاعد بقدر الراتب الذي كانوا يتقاضونه، ولهذا العمل أثر عظيم في رفع معنويات القوات الأخرى.(المصدر نفسه، ٥٨٢) كما أمر أيضًا بمناداة المتمردين من كل لون وعرق، سواء كان أسوداَ أو أبيضا، حيث يربطون نص الأمان لهم عبر بالسهام ويرمونها نحو جيش العدو ويعدونهم بالعفو والتكريم(الأزدي ٢٠٠٦: ٢/١٠٣). في الواقع رسائل الأمان هذه خلقت الخوف في صفوف قوات الزنكيين وكذلك الأمل في الوعود التي تم تقديمها وبخوف ورجاء اتجهوا نحو الجيش العباسي. ولجأت جماعة منهم بمراكبها وسفنها إلى الجيش العباسي، فعفا عنهم وأكرمهم. (الطبري،١٩٦٧: ٥٨٤-٩/٥٨٣). ومن أجل الضغط على القوات الزنكية، حاول العباسيون تشغيل اللاجئين والاستفادة من خبراتهم في حروب الأنهار.(المصدر نفسه، ٦١٦) وربما كان ذلك لكسب ثقتهم تجاه القوات العباسية أنهم كانوا يفعلون ذلك ليظهروا لهم أنهم يفعلون ما يقولون. ولهذا السبب أوكلت إليهم بعض المهام العسكرية، ومن ناحية أخرى استخدموها للهجوم على الزنكيين نفسياً وعسكرياً. وكانوا يعتبرون قوة استخدمها الزنكيون لمهاجمة القوات العباسية من قبل. ومن ناحية الحرب النفسية، فإن استخدام اللاجئين في حروب الأنهار كان له تأثير كبير لأنهم كانوا على علم بخطط وأسرار الزنكيين ولديهم خبرة كبيرة، وكانت هجمات قوات اللاجئين على القوات الزنكية مكثفة وفعالة للغاية. بحيث قُتل عدد كبير من القوات الزنكية على يد اللاجئين وأثاروا الكثير من الخوف في نفوس قواتهم.

النتيجة:ـ

وكانت للأنهار أهمية عسكرية كبيرة عند العباسيين الذين استخدموها لمحاربة الأعداء، وكذلك لتوفير الأمن حول المدن لصعوبة العبور منها وإعطاء فرصة للقوات المدافعة لاتخاذ الإجراءات الدفاعية وتأخير القوات الغازية استخدموا وسد طريقهم.

إلا أن البعد عن مراكز معارضي الحكومة، والقرب من مؤيدي الحكومة، والظروف المناخية، والقرب من النهرين الكبيرين دجلة والفرات، والهيمنة على التجارة العالمية، كانت من الأسباب المهمة لاختيار بغداد مركزاً للحكومة. كما أراد الخلفاء العباسيون تركيز الخلافة في العراق، وكانت أنهار العراق مناسبة لتمركز السلطة، فأقاموا في الأنهار حاميات لقواتهم. كانت القوات العسكرية في الحروب النهرية بحاجة إلى المساعدات وتوفير الغذاء والأسلحة كمبدأ أساسي للقيام بالعمليات العسكرية، وفي هذا الصدد أولى الخلفاء العباسيون هذه الاحتياجات اهتماماً خاصاً. وتمت التدريبات في الحروب النهرية بأمر من القادة العسكريين وحاولوا إظهارها بأفضل شكل في استعراض القوات والمعدات الحربية، مما أدى إلى النتيجة المرجوة في الحرب. وفي كل الحروب والصراعات التي دارت في المنطقة العراقية، ركزوا على جمع المعلومات عن قوة قوات العدو في البحر، وفي البر، وفي الأنهار، وفي هذه الحروب تم استخدام الحيل بشكل مستمر. وعندما لم يكن لدى العباسيين القدرة على مواجهة قوات العدو، استخدموا هذه الأساليب لتحقيق أهدافهم بأقل الخسائر. ومن الاستراتيجيات العسكرية الأخرى للعباسيين في الحروب النهرية هي مباغتة قوات العدو بهجمات مفاجئة. وترتكز هذه الهجمات على عنصر المفاجئة وغير المتوقع الذي يتسبب في إرباك القوات ويؤدي في النهاية إلى انتصار العملية. إن استخدام العلامات والإشارات في حروب الأنهار كانت في الواقع رموزاً ترتكز قيمتها على المفاهيم التي كانت لديهم وكانت تساعد القوات في اتخاذ القرارات في ساحات القتال للتنسيق بين الأفراد ليكون لديهم الكفاءة المناسبة من أجل إيصال الرسائل بشكل جيد، فقد كانت ضرورة معرفة المرسل والمستقبل لهذه الإشارات بشكل كامل حتى لا يقع أي خطأ أثناء تنفيذها. ومن الاستراتيجيات النهرية الأخرى للعباسيين الحرب النفسية التي استخدموها لسحق معنويات العدو وشل قوته في استمرار الحرب. استخدم العباسيون أسلوب الحرب النفسية في التعامل

مع أعدائهم، وبهذا الأسلوب جعلوا أعداءهم يحبطون من الناحية المعنوية والقوة. ومن هذه الأساليب في الحرب النفسية إظهار قوة القوات من خلال حشد عدد كبير من قواتها إلى جانب المعدات العسكرية المستخدمة في الحروب، مما كان له الأثر الكبير في تدمير وإضعاف معنويات الأعداء.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الاثير، عز الدين ابوالحسن شيباني (١٩٥٦) الكامل فى التاريخ. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. ابن الطقطقي، محمد بن على بن طباطباء (١٩٩٧) الفخري بيروت: دار القلم العربي.

٣. ابن الفقيه محمد بن اسحاق بن ابراهيم المعروف الهمداني (١٩٧٧) بغداد مدينه السلام. بيروت: دار احياء التراث العربي.

٤. ابن خلدون ابوزيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد (١٩٦٦) العبر و ديوان المبتداء والخبر. بيروت: مكتبه المدرسة و دار الكتاب اللبناني.

٥. ابن خلكان احمد بن محمد بن أبي بكر (١٩٧٣). وفيات الاعيان و انباء الزمان. بيروت بي جا.

٦. ابن كثير عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (١٩٨٨). البديع و النهاية، الطبعة الرابعة.بيروت:دار احياء التراث.

٧. ابن منظور ابي الفضل جمال الدين (١٩٨٤) لسان العرب،الطبعة الأولى. بيروت: دار احياء التراث.

٨. الازدي يزيد بن محمد بن اياس (٢٠٠٦). تاريخ الموصل. بيروت: دار الكتب العلميه.

٩. البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر البغدادي (١٩٨٨) فتوح البلدان الطبعة الأولى. بيروت: دار الهلال.

١٠. التنوخي ابو على محسن بن على بن ابى الفهم (١٩٧١). نشوار المحاضرة و اخبار المذاكره،بيروت بي جا.

١١. الصولى ابوبكر محمد بن يحيى البغدادي (١٩٣٥) اخبار الراضى بالله و المتقى بالله يا اخبار الدولة العباسيه. القاهره بلا. مك.

١٢. الطبري محمد بن جرير (١٩٦٧). تاريخ الرسل و الملوك (مجلد ٣-٤-٧-٨-٩) الطبعة الثانية. القاهره دار المعارف مصر.

١٣. القلقشندي، احمد بن على ابى اليمن (١٩٨٥). مأثر الاناقه فى معارف الخلافه، الطبعة الثانية الكويت:بي جا.

١٤. المسعودي ابوالحسن على بن الحسين (١٩٦٦). مروج الذهب و معادن الجوهر بيروت: دار صادر.

١٥. الملاح هاشم يحيى (١٩٨٨). القيادة عند العرب بغداد: بي جا.

١٦. الهمذاني محمد بن عبدالملك بن ابي الفضل (١٩٦١) صله تاريخ الطبرى بيروت: مطبعة كاثوليك.

١٧. الجنابي خالد جاسم (١٩٨٩). تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني بغداد: دار الشؤون الثقافية.

١٨. الجهشياري محمد بن عبدوس (١٩٨٨) الوزراء والكتاب بيروت: دار الفكر الحديث.

١٩. خليفة بن خياط، أبو عمرو (١٩٦٧) تاريخ خليفة بن خياط، الطبعة الأولى. النجف: بي جا.

٢٠. عريب بن سعد القرطبي (بي تا) صله تاريخ الطبري. بيروت: مؤسسة الاعلمي.

٢١. غالب عبد الرحيم (بي تا) موسوعه العمارة الاسلامية. بيروت: بي جا

٢٢. فوزي، فاروق عمر (١٩٨٨). تاريخ العراق في عصور الخلافه العربيه بغداد: مكتبه النهضه.

٢٣. محفوظ محمد جلال الدين (١٩٧٦). المخل إلى العقيدة و الاستراتيجيه العسكرية الاسلاميه.القاهرة: بي جا.

٢٤. مسكويه احمد بن محمد بن يعقوب (٢٠٠٣) احسن التقاسيم في معرفه الاقاليم،الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلميه.

٢٥. ياقوت الحموي ياقوت بن عبد الله (١٩٩٥) معجم البلدان، الطبعة الثانية، بيروت: دار صادر.